

# آراء العلماء في خلق زلزلة الساعة

Scholars' Opinions on Creation of  
the Earthquake of the Resurrection.

د. ياسر أحمد سالم ربابعة

جامعة البلقاء التطبيقية - كلية عجلون الجامعية  
قسم العلوم الأساسية - شعبة الدراسات الإسلامية

**Dr. Yaser Ahmed Salem Rababah**

Assistant Professor, Islamic Studies,  
Ajloun University College/ Al-Balqa Applied  
University, Jordan/ Rababahyassir1@bau.edu.jo

د. جلال محمد قاسم درادكة

جامعة البلقاء التطبيقية - كلية اربد الجامعية  
قسم العلوم الأساسية - شعبة الدراسات الإسلامية

**Dr. Jalal Mohammad Qasim Daradkah**

Assistant Professor, Islamic Studies, I  
rbid University College/ Al-Balqa Applied University, Jordan  
jalaldrk@bau.edu.jo





## الملخص

تتناول هذه الدراسة مسألة آراء العلماء في خلق زلزلة الساعة خاصة وأنه ورد ذكرها في كتاب الله تعالى، وجاءت على لسان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي من السمعيّات في العقيدة الإسلاميّة من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالى وهو الموضوع الثالث من موضوعات علم العقيدة بعد الإلهيّات والنّبوّات واعتمدت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يقوم على تتبّع المسألة وما رافقها، ثمّ تحليلها وتحليل آراء العلماء فيها. وقد وضّحت الدراسة كيف تعامل العلماء مع مسألة خلق زلزلة الساعة وهل زلزلة الساعة في الدنيا أم في الآخرة وما علاقة المسألة بالمعدوم. ومن سلّطت الدراسة الضوء على مسألة خلق زلزلة الساعة، وبيّنت موقف العلماء منها.

### الكلمات المفتاحية:

(خلق، زلزلة، الساعة، الغيب).



**abstract:**

This study deals with the issue of scholars' opinions on the creation of the earthquake of the resurrection, which was mentioned in the Holy Qur'an and Hadith. It is one of the audiobooks in the Islamic faith from matters of the unseen that only God Almighty knows, and it is the third subject of the science of faith after theology and prophecies. The study relied on the analytical inductive approach, which is based on tracking the issue and what accompanied it, then analyzing it and analyzing the opinions of scholars on it. The study explained how scientists dealt with the issue of creating the 'Earthquake of the Resurrection', whether it is in this world or the hereafter, and what is the relationship of the issue to the non-existent. Importantly, the study sheds light on the issue of creating the 'Earthquake of the Resurrection', and clarifies the stance of Islamic religious studies scholars on it.

**Keywords:**

creation, the earthquake of the Resurrection, the unseen



## المقدمة

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلِّ فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفه وخليته ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١] ، أما بعد : فإنَّ مسألة خلق السَّاعة تعدُّ من المسائل التي قيست على مسألة خلق الجنَّة والنَّار، وهي من المسائل التي يسعى الجميع لفهم كنهها، فمع أنَّها من مسائل الغيب التي لم يُطلع الله عليه ملكٌ مقرَّبٌ ولا نبيُّ مرسلٌ.

### سَبَبُ اخْتِيَارِ الْمَوْضُوعِ :

من أهمِّ الأسباب التي دعت للكتابة في هذا الموضوع هو حسم الخلاف حول مسألة زلزلة السَّاعة وهل هي مخلوقة أم لا؟ حيث إنَّها من المسائل التي كُثر التَّقاش حولها. وقد تناولت الدِّراسة بعض النُّصوص بالتَّحليل والاستقصاء للوصول إلى حقيقة هذه المسألة...

### هَدَفُ الدِّرَاسَةِ :

هدفت الدِّراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف ، من أهمِّها :

- (١) استقراء النُّصوص الدَّالة على القول بعدم خلق زلزلة السَّاعة ، ومناقشتها.
- (٢) استقراء النُّصوص الدَّالة على القول بخلق زلزلة السَّاعة ، ومناقشتها.
- (٣) بيان ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة في حقيقة هذه المسألة.

### خَطَّةُ الدِّرَاسَةِ :

اشتملت خطَّة الدِّراسة على المطالب التَّالية :



- المطلب الأول: مفهوم الخلق لغة واصطلاحاً.  
المطلب الثاني: مفهوم الزلزلة لغة واصطلاحاً  
المطلب الثالث: مفهوم الساعة لغة واصطلاحاً  
المطلب الرابع: النصوص التي تدلُّ على اقتراب الساعة.  
المطلب الخامس: عدد المرات التي ذكرت بها كلُّ من الزلزلة والساعة.  
المطلب السادس: وقت زلزلة الساعة.  
المطلب السابع: مسألة خلق زلزلة الساعة عند الأشاعرة.  
المطلب الثامن: خلق زلزلة الساعة عند الماتريدية.  
المطلب التاسع: النصوص الدالة على القول بعدم خلق زلزلة الساعة عند الماتريدية.  
المطلب العاشر: القول بخلق زلزلة الساعة عند المعتزلة.  
الخاتمة.

## المبحث الأول التمهيد

مسألة وقت زلزلة الساعة، وخلقتها من المسائل المهمة وحصل الاختلاف في وقتها بناء على بعض النصوص الواردة في المسألة من القرآن والسنة النبوية، وتعلقت بذيلها مسألة أن المعدوم شيئاً أم لا، ويبين هذا البحث هذه المسألة من خلال المطالب الآتية :

### المطلب الأول: مَعْنَى الْخَلْقِ لُغَةً وَاصْطِلَاحاً

الْخَلْقُ أصله: التَّقْدِيرُ المستقيم، ويستعمل في إبداع الشَّيْءِ من غير أصل ولا احتذاء، قال: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١]، أي: أبداعهما، بدلالة قوله: ﴿بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، ويستعمل في إيجاد الشَّيْءِ من الشَّيْءِ نحو: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]... وليس الْخَلْقُ الذي هو الإبداع إِلَّا اللهُ تعالى، ولهذا قال في الفصل بينه تعالى وبين غيره: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، وأمَّا الذي يكون بالاستحالة، فقد جعله اللهُ تعالى لغيره في بعض الأحوال، كعيسى حيث قال: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠]، والخلق لا يستعمل في كافة النَّاسِ إِلَّا على وجهين: أحدهما في معنى التقدير كقول الشاعر:

فلأنت تفري ما خلقت وبع ض القوم يخلق ثم لا يفري  
والثاني: في الكذب نحو قوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاً﴾ [العنكبوت: ١٧]، إن قيل: قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، يدل على أنه يصح أن يوصف غيره بالخلق؟ قيل: إن ذلك معناه: أحسن المقدِّرين، أو يكون على تقدير ما كانوا يعتقدون ويزعمون أن غير الله يبدع<sup>(١)</sup>.  
وقال الكفوي: «الخلق: إحدَاثُ أمرٍ يُرَاعَى فِيهِ التَّقْدِيرُ حسب إِرَادَتِهِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص ٢٩٦)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.

(٢) انظر: الكلمات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي (ص ٤٣٠)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.



وقال الإمام الباقلاني في تعريفه للخلق اصطلاحاً: «هو إخراج الشيء من العدم إلى الوجود»<sup>(١)</sup>. فالخلق هو الإنشاء والإيجاد والإحداث للشيء من العدم إلى الوجود...

### المطلب الثاني: معنى الزلزلة لغةً واصطلاحاً

الزلزلة تعني الاهتزاز والتحرك والارتجاج والإزعاج، قال ابن منظور: «الزلزلة والزلزال: تحريك الشيء، وقد زلزلته زلزلةً وزلزلاً... والاسم الزلزال. وزلزل الله الأرض زلزلةً وزلزلاً، بالكسر، فتزلزلت هي. وقال أبو إسحق في قوله عز وجل: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾: المعنى إذا حركت... قال ابن الأنباري في قولهم: أصابت القوم زلزلة، قال: الزلزلة التخويف والتحذير من قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤]، أي خوفوا وحذروا. والزلزال: الشدائد. والزلزال: الأهوال.

وقال بعضهم: الزلزلة مأخوذة من الزل في الرأي، فإذا قيل زلزل القوم فمعناه صرفوا عن الاستقامة وأوقع في قلوبهم الخوف والحذر. وأزل الرجل في رأيه حتى زل، وأزيل في موضعه حتى زال... الزلزلة في الأصل: الحركة العظيمة والإزعاج الشديد؛ ومنه زلزلة الأرض، وهو هاهنا كناية عن التخويف والتحذير، أي اجعل أمرهم مضطرباً متقلباً غير ثابت<sup>(٢)</sup>.

وقال الرازي: «الزلزلة شدة حركة الشيء، قال صاحب «الكشاف» ولا تخلو الساعة من أن تكون على تقدير الفاعلة لها كأنها هي التي تزلزل الأشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدراً مضافاً إلى فاعله أو على تقدير المفعول فيها على طريقة الإتساع في الظرف وإجرائه مجرى المفعول به»<sup>(٣)</sup>

وفي تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] قال الرازي: «والمعنى: حركت حركةً شديدة، كما قال: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ [الواقعة: ٤]، وقال قوم: ليس المراد من زلزلت حركت بل المراد: تحركت واضطربت، والدليل عليه أنه تعالى يُخْبِرُ عَنْهَا فِي جَمِيعِ السُّورَةِ كَمَا يُخْبِرُ عَنِ الْمُخْتَارِ الْقَادِرِ، وَلَئِنْ هَذَا أَدْخُلَ فِي التَّهْوِيلِ كَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّ الْجَمَادَ لَيُضْطَرِّبُ لِأَوَائِلِ الْقِيَامَةِ، أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تَضْطَرِّبَ وَتَتَيَقَّظَ مِنْ غَفْلَتِكَ وَيَقْرُبُ مِنْهُ: ﴿لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] وأعلم أن زل للحركة المعتادة، وزلزل للحركة الشديدة العظيمة، لما فيه من معنى التكبير، وهو كالصرصر في الريح، ولأجل شدة هذه الحركة وصفها الله تعالى بالعظم فقال: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ

(١) انظر: الإنصاف، الباقلاني (ص ٥٧)، بلا.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور (٣٠٧/١١-٣٠٨)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (١٩٩/٢٣)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.





عَظِيمٌ ﴿ [الحج: ١] <sup>(١)</sup>.

### المَطْلَبُ الثَّالِثُ: مَعْنَى السَّاعَةِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا

السَّاعَةُ مأخوذة من «سوع»، قال ابن فارس: «السَّيْنُ وَالْوَاوُ وَالْعَيْنُ يُدُلُّ عَلَى اسْتِمْرَارِ الشَّيْءِ وَمُضِيِّهِ. مِنْ ذَلِكَ السَّاعَةُ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ» <sup>(٢)</sup>. السَّاعَةُ كلمة يعبر بها في العربيَّة عن جزء من الزَّمان غير محدود ، وفي العرف على جزء من أربعة وعشرين جزءاً من يوم وليلة ، والَّذين هما أصل الأزمنة، وتقول العرب : أفعل كذا السَّاعة، وأنا السَّاعة في أمر كذا ، تريد الوقت الذي أنت فيه، والذي يليه تقريباً له. وحقيقة الإِطلاق فيها أَنَّ السَّاعَةَ بالألف واللام عبارة في الحقيقة عن الوقت الذي أنت فيه ، وهو المسمَّى بالآن ، وسُمِّيَتْ به القيامة إمَّا لقربها ، فإنَّ كلَّ آت قريب، وإمَّا أن تكون سُمِّيَتْ بها تنبيهاً على ما فيها من الكائنات العظام التي تصهر الجلود وتكسر العظام ، وقيل: إنَّما سُمِّيَتْ بالسَّاعة لأنَّها تأتي بغتة في ساعة» <sup>(٣)</sup>.

### المَطْلَبُ الرَّابِعُ: السَّاعَةُ وَزَلَّزَلَتُهَا فِي الْقُرْآنِ

علم السَّاعة غيب من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، وهو حقٌّ، وهي مُدرجة ضمن موضوع السَّمْعِيَّاتِ في العقيدة الإسلاميَّة أو الغيبيات، يؤمن بها المؤمنون، وينكرها ويحسد بها المبطلون، وقد قال صلى الله عليه وسلم: عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» قَالَ: وَضَمَّ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى « <sup>(٤)</sup>.

وقد جاء ذكر السَّاعة في العديد من آيات القرآن العظيم ، منها :

قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

(١) انظر : مفاتيح الغيب (٢٥٤/٣٢).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس (١١٦/٣) ، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م.

(٣) انظر : التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، القرطبي (٥٤٦/١) ، تحقيق ودراصة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم ، مكتبة دار

المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض ،، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.

(٤) أخرجه البخاري (١٠٥/٨) برقم (٦٥٠٤) ، مسلم (٢٢٦٩/٤) برقم (٢٩٥١) ، واللفظ له.



وقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ \* فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه: ١٥-١٦].

وقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

فأمر الساعة ووقت مجيئها وحدوثها شغل القلوب والعقول، وكانت من أولى المسائل التي سأل اليهود رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها؛ للتأكد من صدق بعثته وأنه رسول الله، فالتأس في سؤال دائم عنها، قال تعالى: ﴿يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، فبذكرها تذهل العقول والأبصار، فأمرها عظيم، وخطرها عميم، خاصة وأن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية عندما تتحدث عنها تذكر قربها، وأنها آتية لا ريب فيها، الأمر الذي من شأنه أن يجعل الإنسان في وجل وترقب وحذر، وأن يبقى على استعداد دائم لمجيئها، فيعمل الصالحات، ويتزود بكل ما يرضي الله، ويبتعد عن المحرمات وسائر المنهيات...

ومع أن مجيء الساعة سيكون بغتة وفي وقت لا يعلمه إلا الله تعالى، إلا أن الله سبحانه قد أخبرنا بأن لها شرائط وعلامات تسبقها تُنذر بقربها، كي ينتبه المؤمنون لمجيئها فيستعدوا لها بالعمل الصالح، والإنابة والتوبة، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ \* بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٨-٤٠]، وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزخرف: ٦٦]، وقال: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد: ١٨].

وقد جاء ذكر الساعة في القرآن العظيم مقرونة بأل التعريف في خمسة وثلاثين موضعاً مختلفاً، وجاء ذكرها مجردة من أل التعريف في ثمانية مواضع، حيث أفاد اللفظ معنى الساعة وهو الوقت في الدنيا، كما جاء ذكرها معرفة بأل التعريف ومجردة منه في سورة الرُّوم في نفس الآية، في قول الحق سبحانه: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم: ٥٥].

بينما ذكرت معرفة بأل التعريف في ثلاثة مواضع، هي:

قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُشْتَقِقِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرٌ﴾ [القمر: ٤٦].

فمن خلال التّصوُّص السّابقة علمنا أنّ لفظ السّاعة متى ورد مجرّداً من أَل التعريف ، انحصر معناه في الدلالة على الوقت من الزّمن في هذه الدُّنيا وهو مخلوق ، بينما إذا جات معرّفاً بأَل التّعريف دلّ على أنّ المعنى المراد هو السّاعة التي لا وجود بعدها في هذه الدُّنيا الفانية ، و التي بقيامها تنتقل إلى الحياة الأخرى .

فلفظ السّاعة يُوحى بالقرب وينفي البعد دفعاً لزيادة اليقظة والاستعداد ، وهي لحظة شديدة أليمة بسبب ما يرافقها من حركة واضطراب ، وزلزلة عظيمة...

أمّا الزَّلْزَلَة فقد ورد في القرآن العظيم مُعرّفة ومجرّدة من أَل التّعريف مرّة واحدة ، في قوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾** [الحج:١]. والزَّلْزَلَة هنا تعني حدوث أمر رهيب عجيب مؤذّن بقيام السّاعة ، وما يجرّه ذلك على الخلائق من الشدّة والاضطراب والأحوال العصيبة.. ووقت الزَّلْزَلَة العظيمة المؤذنة بقيام السّاعة غيب لا يعلمه إلا الله تعالى ، وقد أخفى الله تعالى وقت حدوثها لأنّه أصلح للعباد ، كي لا يستوفوا في التّوبة والتّأهّب والاستعداد لليوم الآخر ، كما أنّ أخفى وقت الموت لما فيه من صلاح لهم ، كي يبقوا دائماً وأبداً مستعدّين متأهّبين...

وقد اختلف أهل العلم في وقت الزَّلْزَلَة ، هل هي في الدُّنيا ؟ أم في الآخرة ؟

قال ابن عطية: لقد اختلف المفسّرون في «الزَّلْزَلَة» المذكورة هل هي في الدُّنيا على القوم الذين تقوم عليهم القيامة ، أم هي في يوم القيامة على جميع العالم؟! فقال الجمهور: هي في الدُّنيا ، والضّمير في «تَرْوَنَهَا»، عائد عندهم على الزَّلْزَلَة ، وقوى قولهم أنّ الرّضاع والحمل إنّما هو في الدُّنيا»<sup>(١)</sup>..

قالت جماعة من أهل العلم: هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا ، وأول أحوال الساعة ، وممن قال بهذا القول: علقمة ، والشعبي ، وإبراهيم ، وعبيد بن عمير ، وابن جريج<sup>(٢)</sup>.

ومن الذين ذهبوا إلى ذلك القرطبي مستدلاً بحديث أبي هريرة ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لما فرغ الله من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطي إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى السماء ينظر متى يؤمر» قال أبو هريرة: يا رسول الله ، وما الصور؟ قال: «قرن» ، قال: وكيف هو؟ قال: «قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات ، الأولى: نفخة الفزع ، والثانية: نفخة الصعق ، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين» ، يأمر الله عز وجل إسرافيل بالنفخة الأولى: انفخ نفخة الفزع فتفزع

(١) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي (١٠٦/٤) ، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٢هـ.

(٢) الجموع البهية للعقيدة السلفية التيذكرها العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان ، جمع: أبوالمنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي ، ٦٤٤/٢ ، مكتبة ابن عباس ، مصر ، ط١ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.



أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله، ويأمره الله فيديمها ويطولها فلا يفتر، وهي التي يقول الله: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ يس: ٤٩، فيسير الله الجبال فتكون سرايا، وترج الأرض بأهلها رجا، وهي التي يقول الله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ النازعات: ٦-٨، فتكون الأرض كالسفينة الموبقة في البحر، تضربها الأمواج تكفأ بأهلها، أو كالقنديل المعلق بالعرش، ترججه الأرواح، فتميد الناس على ظهرها، فتذهل المراضع، وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار، فتلقاها الملائكة، فتضرب وجوهها، ويولي الناس مدبرين، ينادي بعضهم بعضا، وهو الذي يقول الله: ﴿وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِّنْ لَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلْ لِلَّهِ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ غافر: ٣٢ - ٣٣، فبينما هم على ذلك، إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر فأرأوا أمرا عظيما، وأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به، ثم نظروا إلى السماء، فإذا هي كالمهل، ثم خسفت شمسها، وخسف قمرها، وانتشرت نجومها، ثم كسخت عنهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك» فقال أبو هريرة: فمن استثنى الله حين يقول: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي لُصُورٍ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي لَأَرْضٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دُخْرِينَ﴾ النمل: ٨٧

قال: «أولئك الشهداء، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون، وقاهم الله فزع ذلك اليوم، وأمنهم، وهو عذاب الله يبعثه على شراء خلقه، وهو الذي يقول: ﴿يَأْتِيهَا لِنَاسٍ تَقْتُلُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ لِسَاعَةِ شَيْءٍ عَظِيمٍ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى لِنَاسٍ سُكْرَى وَمَا هُمْ بِسُكْرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ الحج: ١-٢،<sup>(١)</sup>، أما الغاية من ذكر هذا؛ أنه دل على أن هذه الزلزلة كائنة قبل يوم القيامة أضيفت إلى الساعة لقربها منها، كما يقال: أشرط الساعة، فالإضافة أفادت القرب<sup>(٢)</sup>. وعلق عليه: وهذا القول من حيث المعنى له وجه من النظر، ولكنه لم يثبت ما يؤيده من النقل، بل الثابت من النقل يؤيد خلافه. وهو القول الآخر.

وحجة من قال بهذا القول حديث مرفوع، جاء بذلك، إلا أنه ضعيف لا يجوز الاحتجاج به، وقال بالهامش: وهذا الإسناد ضعيف لما فيه من المجاهيل، وكذا لضعف إسماعيل بن أبي رافع، فقد قال عنه الذهبي في الكاشف: ضعيف واه، وقال عنه ابن حجر في التقریب: ضعيف الحفظ.. وكذا يزيد، وصوابه: محمد بن يزيد، وقال عنه الذهبي في الكاشف: ليس بحجة، وقال عنه ابن حجر في

(١) المصدر السابق، ٦٤٤/٢-٦٤٦.

(٢) انظر المصدر نفسه ٦٤٦/٢.



التقريب: مجهول الحال.<sup>(١)</sup>

واستدل البعض على أنّ حدوثها في الدنيا، بما جاء في البخاري برواية أبي هريرة رضي الله عنه: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل»، وعند ابن عساكر: «يكون في أمّتي رجفة يهلك فيها عشرة آلاف عشرون ألفا ثلاثون ألفا يجعلها الله موعظة للمتقين ورحمة للمؤمنين وعذابا للكافرين، ويتحدث البرزنجي عن حدوث بعضها في دمشق وتونس ومصر وغيرها.<sup>(٢)</sup>

فنجد الجمهور علّلوا حدوثها في الدنيا بما اقترن بها من أعمال لا تكون إلا في الدنيا، فالآخرة ليست

ثانيا: يوم القيامة على جميع العالم:

البعض تعلق بالقول بحدوثها يوم القيامة، وليست بالدنيا، وقالت فرقة «الزلزلة» في القيامة واحتجت بحديث أنس: «إذ قرأ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الآية ثم قال «إنه اليوم الذي يقول الله تعالى فيه لآدم أخرج بعث النار»<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

وحجّتهم في هذا: «بأن الزلزلة المذكورة كائنة يوم القيامة بعد البعث من القبور، فهي ما ثبت في الصحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تصريحه بذلك. وبذلك تعلم أن هذا القول هو الصواب كما لا يخفى»<sup>(٥)</sup>»<sup>(٦)</sup>.

لكن هذا القول لا يسلم به كما يقول ابن عطية، ونجده يعلق على ذلك بقوله: وهذا الحديث لا حجة فيه؛ لأنه يحتمل أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ الآية المتضمنة ابتداء أمر الساعة، ثم قصد في

(١) المجموع البهية للعقيدة السلفية: ٦٤٤/٢.

(٢) الإشاعة لأشراط الساعة: السيد الشريف محمد بن رسول البرزنجي (ت ١٠١٣هـ)، ص ٥٠، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.

(٣) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ١١٠/٨، رقم الحديث (٦٥٣٠)، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط ١، ١٤٢٢هـ. ونص الحديث: «حدثني يوسف بن موسى، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكرى وما هم بسكرى ولكن عذاب الله شديد» «فاشدد ذلك عليهم فقالوا: يا رسول الله، أينا ذلك الرجل؟ قال: «أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجل» ثم قال: «والذي نفسي بيده، إنني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة» قال: فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: «والذي نفسي بيده، إنني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو الرقمة في ذراع الحمار»

(٤) المحرر الوجيز: ١٠٦/٤.

(٥) المجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان: ٦٤٧/٢.

(٦) للاستزادة: انظر المجموع البهية للعقيدة السلفية ٦٤٤/٢-٦٤٩.



تذكيره وتخويله إلى فصل من فصول يوم القيامة فنص ذكره، وهذا من الفصاحة، والضمير عند هذه الفرقة عائد على الساعة أي يوم يرون ابتداءها في الدنيا، فيصح لهم بهذا التأويل أن لا يلزمهم وجود الرضاع والحمل في يوم القيامة، ولو أعادوه على الزلزلة فسد قولهم بما يلزمهم.<sup>(١)</sup>

### المطلب الخامس: مسألة خلق زلزلة الساعة عند الأشاعرة

إن مسألة خلق زلزلة الساعة من المسائل التي شغلت أذهان الناس، من حيث ما يسبقها ويرافقها، ويسعى الناس بحسب تعدد مشاربهم، وتفاوت أفهامهم في العودة إلى المعتمد من مصادرهم الأصيلة؛ للوقوف على حقيقة المسألة لتعلقها بالغيب والسمعيات التي غابت عن حواسهم ومدارك علمهم، غيابها عن مقدور العقول والحواس وإبهامها في وقت حدوثها، ليبقى مصدر تلقيها الوحي الصادق أولاً وأخيراً، وما توصل إليه أئمة العقيدة والتفسير في فهم مراد الله من تلك النصوص.

فالأمدي يختلف مع غيره في سبب إثارة هذه المسألة حيث يقول إن: «مثار الجهل ومنشأ الخيال هاهنا لأهل الضلال في اعتقاد كون المعدوم شيئاً إنما هو من تطفلهم سلوك مسلك الهيلولانيين ونسجهم على منوال الفلاسفة الإلهيين وظنهم أن ذلك من اليقينيّات وأنه لا منافرة بينه وبين القول بحدث الكائنات ولهذا لما تخيل بعضهم ما فيه من الجهالة وشحد راية الضلال قال إنما نطلق عليه اسم الشيء والذات من جهة الألفاظ والعبارات»<sup>(٢)</sup>، فيبين تعلقهم بالفلاسفة وتأثرهم بأقوال الفلاسفة ابتداءً ثم ذهب ليطلق سبباً آخر لعله قولهم بأن المعدوم شيء فذكر سبباً آخر وهو تعلقهم بالسمع والأخذ بظواهر النصوص، فقال: «وربما تمسك في ذلك بالسمع وظواهر واردة في الشرع مثل قوله تعالى {ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً} وكذلك قوله {إن زلزلة الساعة شيء عظيم} فإنه قد سمى الساعة والفعل قبل كونهما شيئاً، وهذا وإن كان نزاعاً في اللفظ دون المعنى وأنه أقل طغاوة من الأول لكنه مما لا عليه معول»<sup>(٣)</sup>، فهو يفترض جدلاً أخذهم بظاهر النص، وردّ سبب النزاع باعتبار اللفظ لا المعنى، وبالرغم من ذلك جعل أخذهم بظاهر النص مما لا يعول عليه.

(١) المحرر الوجيز: ١٠٦/٤.

(٢) غاية المرام في علم الكلام: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدي (المتوفى: ٦٣١هـ) تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، ص ٢٨١، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة.

(٣) غاية المرام في علم الكلام: صفحة (٢٨١)



والأشاعرة واحدة من الفرق الإسلامية التي ذهبت لبيان هذه المسألة.  
فذهب الأشاعرة إلى أنّ المعدوم ليس شيئاً، وخاضوا غمار النقاش مع المعتزلة في هذه المسألة  
للوصول إلى الحق.

ونجد ابن عطية في تفسيره يُبيّن ذلك في محض رده على من سمّى المعدوم شيئاً، وأراه انتصار  
لقول أبي حنيفة، حيث قال: صدر الآية تحذير لجميع العالم ثم أوجب الخبر وأكدّه بأمر زلزلة القيامة  
وهي إحدى شرائطها وسماها شيئاً؛ إما لأنها حاصلة متيقن وقوعها فيستسهل لذلك أن تسمى شيئاً.  
وهي معدومة إذ اليقين بها يشبهها بالموجودات، وأما على المآل أي هي إذا وقعت شيء  
عظيم، فكأنه لم يطلق الاسم الآن؛ بل المعنى أنها إذا كانت فهي حينئذ شيء عظيم، والزلزلة  
التحريك العنيف.<sup>(١)</sup>

فتسميته - سبحانه - لها شيئاً، لأنها واقعة لا محالة، ثم ذكر أنها معدومة.  
فيم يستند الأمدي في رده على القائلين بشيئية المعدوم من السمع، وأنّ المعدوم يكون شيئاً حال  
انتقاله وقت كينونته، فيقول الأمدي: ومعنى قوله {ولا تقولن لشيء إني فاعل}، أي: فاعل غداً شيء إلا  
أن يشاء الله وكذا تسميته زلزلة الساعة شيئاً إنما هو في وقت كونهما وهذا على رأى من لا يعترف منهم  
بكون المعدوم متحركاً أولى وأحرى من جهة أن الزلزلة حركة على ما لا يخفى ثم إن هذه الظواهر قد لا  
تسلم عن المعارضة بمثلها؛ وذلك مثل قوله تعالى {وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً}.<sup>(٢)</sup>  
قال أبو محمد: وقد اختلف الناس في المعدوم أهو شيء أم لا؟؛ لقول أهل السنة وطوائف من  
المرجئة، كالأشعرية وغيرهم ليس شيئاً<sup>(٣)</sup>، فالأشاعرة تذهب إلى القول أنّ المعدوم ليس شيئاً،  
والمقصود بليس موجوداً، أي: يستحيل أن تكون شيئاً حال عدمها.<sup>(٤)</sup>

ف نجد الرازي من الأشاعرة يتصدى لهذه المسألة من خلال مناقشته لهم، فبعدهما عرض الرازي  
أدلة المعتزلة وقولهم بالسعي في إثبات أنّ المعدوم شيء؛ مُعللين ذلك بأنّ الله سمّاه شيئاً حال  
عدمه، نجده قد قام بالرد عليهم، فقال: إنّ الزلزلة عبارة عن الأجسام المتحركة، وهي جواهر قامت  
بها أعراض، وتحقق ذلك في المعدوم محال، فالزلزلة يستحيل أن تكون شيئاً حال عدمها، فلا بد من

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ١٠٥/٤، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١٤٢٢هـ، ١٠١.

(٢) غاية المرام في علم الكلام: ٢٨١.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، ٢٧/٥، مكتبة الخانجي - القاهرة.

(٤) انظر مفاتيح الغيب: الرازي، ٢٠٠/٢٣.

التأويل بالاتفاق ويكون المعنى أنها إذا وجدت صارت شيئاً، وهذا هو الجواب عن البواقى.<sup>(١)</sup>  
قال أبو محمد: أما قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>  
لحج: ١.

فإن هذه القصة موصولة بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾: ٢، فإنما تم الكلام عند قوله يوم ترونها، فصح أن زلزلة الساعة يوم ترونها شيء عظيم وهذا هو قولنا، ولم يقل تعالى قط أنها الآن شيء عظيم، ثم أخبر تعالى بما يكون يومئذ من هول المرضعات ووضع الأحمال وكون الناس سكارى من غير خمر فبطل تعلقهم بالآية.<sup>(٣)</sup>

فالساعة إذا شيء عظيم في ذلك الحين، وذلك الحين تكون الساعة موجودة لا معدومة، وهذا لا خلاف فيه، ولم يأت في الآية أن الساعة شيء عظيم الآن، فبطل الاستدلال.

«وأما قولهم إنَّ المعدوم يخبر عنه ويوصف ويتمنى ويسمى فجهل شديد، وظن فاسد، وذلك أن قولنا في شيء يذكر أنه معدوم، ويخبر عنه أنه معدوم ويتمنى به، إنما هو أن يذكر اسم ما، فذلك الاسم موجود بلا شك يعرف ذلك بالحس، كقولنا العنقاء وابن أوى وحبين وعرس ونبوة مسيلمة وما أشبه ذلك، ثم كل اسم ينطق به ويوجد ملفوظاً أو مكتوباً فإنه ضرورة لا بد له من أحد وجهين، إما أن يكون له مسمى، وإما أن يكون ليس له مسمى، فإن كان له مسمى فهو موجود وهو شيء حينئذ، وإن كان ليس له مسمى فأخبارنا بالعدم وتمنيينا للمريض الصحة إنما هو إخبار عن ذلك الاسم الموجود أنه ليس له مسمى ولا تحته شيء وتمن منا لأن يكون تحته مسمى، فهكذا هو الأمر، لا كما ظنه أهل الجهل فصح أن المعدوم لا يخبر عنه ولا يتمنى، ونسألهم عن قول ليت لي ثوبا أحمر، وغلاماً أسود، أخبرونا هل الثوب المتمنى به عندكم أحمر أم لا؟، فإن أثبتوا معنى وهو الثوب أثبتوا عرضاً محمولاً فيه وهو الحمرة، فوجب أن المعدوم يحمل الأعراض، وإن قالوا لم يتمنى شيئاً أصلاً صدقوا وصح أن المعدوم لا يتمنى لأنه ليس شيئاً، ولا فرق بين قول القائل تمنيت لا شيء وبين قوله لم أتمنى شيئاً بل هما متلازمان بمعنى واحد، وهذا أيضاً يخرج على وجه آخر وهو أنه لا يتمنى الأشياء موجودة في العالم كثوب موجود أو غلام موجود، وأما من أخرج لفظة التمني لما ليس في العالم فلم يتمنى شيئاً، وأما قولهم

(١) مفاتيح الغيب: الرازي، ٢٣/٢٠٠.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، ٥/٢٧، مكتبة الخانجي - القاهرة. وانظر: أصول الدين: أبي اليسر محمد البزدوي، تحقيق: د. هانز بيتر لنس، ضبطه وعلق عليه: د. أحمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية للتراث، - القاهرة، ٢٠٠٣م



بوصف فطريق عجب جدا، لأن معنى قول القائل يوصف إخبار بأن له صفة محمولة فيه موجودة به فليت شعري كيف يحمل المعدوم من الصفات من الحمرة والخضرة والقوة والطول والعرض إن هذا لعجيب جدا فظهر فساد ما موهوا به<sup>(١)</sup>.

### المطلب السادس: خلق زلزلة الساعة عند الماتريديّة

لقد تعاضدت النصوص الدالة على أنّ الساعة آتية بغتة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الزخرف: ٦٦، ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ محمد: ١٨، والساعة أمر غيبي تسبقها شرائط وعلامات، وبرزت للخلاف مسألة خلق زلزلة الساعة، حيث إنها أول ما أثبتت من قبل الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - في معرض رده على قول المعتزلة في نفي خلق الجنة والنار الآن، حيث ذهبت المعتزلة إلى القول: «هما غير مخلوقتين؛ لأن الله تعالى ليس بعاجز عن خلقهما، فيخلقهما وقت افتراق الفريقين»<sup>(٢)</sup>.

يأتي رد الإمام أبي حنيفة على ذلك: مسألة خلق الجنة والنار، قلنا: مخلوقتان<sup>(٣)</sup>، ويذهب ليقيم الرد عليهم مستدلا بما جاء في كتاب الله، فيقول: ونرد عليهم أي: المعتزلة، بقوله تعالى في شأن الجنة: ﴿وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الشعراء: ٩٠، وفي شأن النار بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: ٢٤؛ ولأن قولهم يؤدي إلى تكذيب الله في خبره؛ لأنه تعالى خوف الكافرين بالنار ورجب المؤمنين في الجنة والتخويف بالمعدوم والترغيب فيه لغو وعيب - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا<sup>(٤)</sup>.

لقد جاءت بعض النصوص في الكتاب العظيم دالة على الخلق مما أشكل على الإفهام، منه ما قاله تعالى: ﴿الذِّكْرُ لِلَّهِ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أنعام: ١٠٢ وجاء أيضا في كتابه العزيز قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، ٢٧/٥،

مكتبة الخانجي - القاهرة.

(٢) شرح الفقه الأكبر: ص ٤٢.

(٣) شرح الفقه الأكبر: ٤٢.

(٤) انظر: شرح الفقه الأكبر: ٤٢-٤٣.



أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ {  
الرعد: ١٦.

وجاء أيضاً قوله تعالى الله: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ {الزمر: ٦٢}  
ومن النصوص التي تذكر أنّ كل شيء مخلوق قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ {غافر: ٦٢}.

فهذه النصوص المتعددة التي تؤكد على أن الله خالق كل شيء، وهذا ما جعل الفهم مشكلاً عند البعض، وكذلك مسألة الوجود والعدم، ومسألة البقاء والفناء، ومعلوم أنّ الساعة ستأتي بغتة وهذا دفع بالفضول لدى البعض في البحث عنها، ومعلوم أيضاً أنّ حلول الساعة مؤذن بفناء الحياة الدنيا التي يتفق الجميع على أنها الزائلة الفانية، وأنّ الآخرة هي دار الخلود.

ومما نلاحظه في النصوص الدالة على الخلق اقترانها بلفظ (كل شيء) وهي مؤكدة لاسم الفاعل (خالق) في حقيقة قيام الفعل خلق ووجوده، وسنستعرض في هذا المبحث رأي العلماء في هذه المسألة مع أدلتهم.

فلقد ذهب الإمام أبو حنيفة النعمان إلى القول في باب الرد على المعتزلة عندما عدّوا العدم شيئاً، فقال: واحتجت المعتزلة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ {الحج: ١}، والزلزلة معدومة فسامها شيئاً عظيماً إلا أنا نقول: معناه أن تكون الزلزلة شيئاً عظيماً وقت كونها ووجودها إلا أنه سماها في الحال شيئاً.

فإن قيل: لو كان المعدوم يسمى معلوماً لوصفنا الله بالجهل، وحاشا أن يوصف الرب جلّ جلاله بالجهل.<sup>(١)</sup>

### المطلب السابع: النصوص الدالة على القول بعدم خلق زلزلة الساعة عند الماتريدية

استدل الجماهير من أهل السنة وعامة عقلاء بني آدم على قولهم هذا بجمع من النصوص، ومنها:  
١- قوله تعالى ل زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾ {مريم: ٩}.

فهذه الآية دلت على أن زكريا عليه السلام قبل زمن وجوده، أي حال عدمه، أنه لم يك شيئاً آنذاك، مما دل على أن المعدوم ليس بشيء. وهذا النص لا يحتمل التأويل.

(١) شرح الفقه الأكبر: ص ٤٣.

فإن قالوا: إنك لم تكن شيئاً موجوداً؛ فإن الشيء نوعان موجود ومعدوم، وإن كان النفي مطلقاً لكن يحمل على الموجود.

والجواب عليه: أن الله تعالى نفى أن يكون المعدوم شيئاً مطلقاً، فمن قال بأن المراد منه الشيء الموجود، جعل المنفي شيئاً مقيداً لا مطلقاً فلا يكون تأويلاً بل يكون نسخاً إذ المطلق غير المقيد.<sup>(١)</sup>

٢- ومثلها قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ مريم: ٦٧، وقوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ الطور: ٣٥.

فأنكر عليهم اعتقاد أن يكونوا خلقوا من غير شيء خلقهم أم خلقوا هم أنفسهم؛ ولهذا قال جبير بن مطعم: لما سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ هذه السورة أحسست بفؤادي قد انصدع، ولو كان المعدوم شيئاً لم يتم الإنكار إذا جاز أن يقال ما خلقوا إلا من شيء لكن هو معدوم فيكون الخالق لهم شيئاً معدوماً.

٣- ومن أدلتهم قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ مريم: ٦٠.

ولو كان المعدوم شيئاً لكان التقدير: لا يظلمون موجوداً ولا معدوماً، والمعدوم لا يتصور أن يظلموه فإنه ليس لهم.

٤- ومن أدلتهم قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ الإنسان: ١ فدللت الآية على أن الإنسان قبل وجوده لم يكن شيئاً، وهو قبل وجوده معدوم، مما دل على أن المعدوم ليس بشيء.<sup>(٢)</sup>

### المطلب الثامن: القول بخلق زلزلة الساعة عند المعتزلة

تكاد تكون المعتزلة هي الفرقة الوحيدة من بين الفرق الإسلامية القائلة بخلق زلزلة الساعة، مع مخالفة بعض المعتزلة لهم، وذهبت في مذهبها مذهباً بعيداً، احتاجت معه إلى إثبات أو نفي بعض السمعيات التي هي ليس محل رأي أصلاً، وطريق الوصول إليها الخبر الصادق، كخلق الجنة والنار الآن؛ لذا عليهم التمسك بالدليل من الكتاب والسنة لإثبات حجية قولهم.

(١) انظر مرجع سابق، أصول الدين للبيدوي، (٢٢١-٢٢٢).

(٢) انظر: مرجع سابق، مجموع الفتاوى، (١٥٥/٢-١٦٦) وانظر: حجج القرآن.

المؤلف: أبو العباس بدر الدين الرازي الحنفي: أحمد بن محمد بن أحمد المظفر ابن المختار، (المتوفى: بعد ٦٣٠هـ)، المحقق:

أحمد عمر المحمصاني الأزهرى، (٨٢) دار اليربوع العربي - لبنان - ط ٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.



وتعود مسألة خلق زلزلة الساعة في أصلها عند المعتزلة إلى مسألة خلق الجنة والنار ووجودهما الآن ، وخلافهم في ذلك مع أبي حنيفة ، وطوائف أهل السنة ، والتي بدورها قادتهم إلى مسألة أخرى مختلف فيها ، وهي : هل أن المعدوم شيء أم لا ؟<sup>(١)</sup>

ويذهب أبو محمد إلى أن أصل الخلاف في المسألة عائد إلى المعدوم ، والخلاف فيه ، حيث يذهب أهل السنة إلى القول أن المعدوم ليس شيئاً ، بينما نجد أن المعتزلة عدته شيئاً ، حتى قرّر بعضهم إلى أنه جسم حال عدمه .

وهذا ما نقل عنهم فقال أبو محمد : وقد اختلف الناس في المعدوم أهو شيء أم لا ؟ ؛ لإقبال أهل السنة ، وطوائف من المرجئة كالشعرية ، وغيرهم ليس شيئاً ، وبه يقول هشام بن عمرو الغوطي أحد شيوخ المعتزلة ، وقال سائر المعتزلة : المعدوم شيء ، وقال عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط أحد شيوخ المعتزلة : إن المعدوم جسم في حال عدمه ، إلا أنه ليس متحركاً ولا ساكناً ولا مخلوقاً ولا محدثاً في حال عدمه.<sup>(٢)</sup>

والشحام هو أول من قال من المعتزلة بشيئية المعدوم وتابعه على ذلك أكثر المعتزلة وإن خالفوه بعد ذلك في بعض التفاصيل ، ويعرض لنا الشهرستاني رأي الشحام قائلاً : « والشحام من المعتزلة أحدث القول بأن المعدوم شيء وذات وعين ، وأثبت له خصائص المتعلقة في الوجود مثل قيام العرض بالجواهر وكونه عرضاً ولونا وكونه سواداً وبياضاً ، وتابعه على ذلك أكثر المعتزلة غير أنهم لم يثبتوا قيام العرض بالجواهر ولا التحيز للجواهر ولا قبوله للعرض ، وخالفه جماعة فمنهم من لم يطلق إلا اسم الشيئية ومنهم من امتنع من هذا الإطلاق أيضاً مثل أبي الهذيل ، وأبي الحسين البصري . »<sup>(٣)</sup> وقد بين ابن حزم في الفصل بين الملل مقالة المعتزلة في المعدوم فقال : « قال سائر المعتزلة المعدوم شيء ، وقال عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط أحد شيوخ المعتزلة أن المعدوم جسم في حال عدمه إلا أنه ليس متحركاً ولا ساكناً ولا مخلوقاً ولا محدثاً في حال عدمه . »<sup>(٤)</sup>

(١) انظر شرح الفه الأكبر : الإمام أبي حنيفة النعمان ، ص ٤٣ .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى : ٤٥٦هـ) ، ٢٧/٥ ، مكتبة الخانجي - القاهرة .

(٣) نهاية الإقدام في علم الكلام ، الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (المتوفى : ٥٤٨هـ) ، تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، صفحة ٨٩ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١٤٢٥/١ هـ .

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى : ٤٥٦هـ) ، ٢٧/٥ ، مكتبة الخانجي - القاهرة .

ونجد ابن تيمية - رحمه الله - يُحدِّد مفهوم العدم عندهم بأنه عائد إلى التعريفات السلبية، فالعدم عندهم الشيء الذي لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، فقرروا شيئته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان مفهوم العدم: «لو قال أحد: ما هو العدم لقال لك: العدم هو الشيء الذي لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته»، وهذا تعريف صحيح باعتبار التعريفات السلبية.<sup>(١)</sup> فذهبت المعتزلة إلى القول: أنَّ المعدوم «هو شيء»<sup>(٢)</sup>، وأي قول يحتاج إلى الاستدلال لإثبات صحته، وهذا ما دفعهم إلى الاستدلال والاحتجاج بكتاب الله؛ لتأكيد ما ذهبوا إليه من رأي.

**الأدلة من الكتاب الدالة على القول بخلق زلزلة الساعة عند المعتزلة:**

لقد اعتمدت المعتزلة على قولها بخلق زلزلة الساعة، واستدلَّت من نصوص الكتاب العظيم بعدة أدلة جعلتها لها مُتَّكِّأً؛ لتدعم بها صحة قولها، ومن هذه النصوص:

**أولاً:** قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ الحج: ١.

فقالوا: الزلزلة معدومة الآن فسامها الله شيئاً<sup>(٣)</sup>، ومن الدليل على أنَّ المعدوم شيء أنه يخبر عنه ويوصف ويتمنى ومن المحال أن يكون ما هذه صفته ليس شيئاً.<sup>(٤)</sup>

فمقولة من قال بأنَّ المعدوم شيء علَّلوها بأنه يخبر عنه ويوصف ويتمنى، وما كانت هذه صفته فلا يكون إلا شيئاً.

ويجاب على هذا من وجوه.

الوجه الأول: ما تم ذكره سابقاً في البحث، وهو أن قول الله عز وجل إن زلزلة الساعة شيء عظيم فإن هذه القصة موصولة بقوله تعالى بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ الحج: ٢، فإنما تم الكلام عند قوله يوم ترونها، فصح أن زلزلة الساعة يوم ترونها شيء عظيم وهذا هو قولنا، ولم يقل تعالى قط أنها الآن شيء عظيم.<sup>(٥)</sup>

(١) شرح العقيدة الطحاوية: سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ص ٤٠٢.

(٢) شرح الفقه الأكبر: أبو حنيفة النعمان ص ٤٣.

(٣) انظر: وانظر: الكامل في الاستقصاء فيما بلغنا من كلام القدماء، تقي الدين النجرائي: مختار بن محمود العجالي المعتزلي (تحقيق: الدكتور السيد محمد الشاهد، ٢١٦)، مطبوعات وزارة الأوقاف المصرية المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث - القاهرة، ١٩٩١م (د. ط.)، شرح الفقه الأكبر: أبو حنيفة النعمان ص ٤٣.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، ٢٧/٥، مكتبة الخانجي - القاهرة.

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، ٢٧/٥.

فالساعة إذا شيءٌ عظيم في ذلك الحين، وذلك الحين تكون الساعة موجودة لا معدومة، وهذا لا خلاف فيه، ولم يأت في الآية أن الساعة شيء عظيم الآن، فبطل الاستدلال.

ويقول صاحب الفقه الأكبر بعد أن ساق هذا الدليل على قول المعتزلة بأن المعدوم شيء : إلا أننا نقول: معناه أن تكون الزلزلة شيئاً عظيماً وقت كونها ووجودها إلا أنه سماها في الحال شيئاً.<sup>(١)</sup>

فالإمام أبو حنيفة يذهب إلى ما ذهب إليه أهل السنة بأن المعدوم ليس شيئاً، وقال: لا يعد شيئاً إلا حال انتقاله من العدم إلى الوجود، فهو في وقت كونه موجوداً يعد شيئاً، وما سوى ذلك فهو ليس شيئاً، والباري - سبحانه - حسب ما يقول المعتزلة سماها؛ أي: الزلزلة في الحال شيئاً، وهذا ما لم يقره أبو حنيفة إلا بانتقالها إلى الوجود، ووصل الكلام بما بعده في آي القرآن الكريم وليس باجتزائه.

الوجه الثاني: أن يكون المراد بالآية أن الساعة شيء عظيم في العلم والتقدير.<sup>(٢)</sup>

الوجه الثالث: ما قاله العجالي المعتزلي الذي خالف المعتزلة بالقول في أن المعدوم شيئاً ورد عليهم قائلاً: التمسك بأمثال هذه النصوص غير مستقيم لأنها ليست بدلالة في محل النزاع، لأنكم لا تقولون في المعدوم الذي تثبتونه ذاتاً أنه حال عدمه يكون محلاً للأعراض، ولو قلتم بذلك كان ذلك قولاً بالعدم في ذات سميتموه بالعدم؛ لأنه تعالى سمى بالشيئية ما كان فزلزله، فالزلزلة لا بد فيها من أعراض نحو شدة الحركة وارتفاع الصوت لعظيم وإن أمكن كونه بهذا الوصف في حال العدم موصوفاً، أمكن أن يكون سبباً في الحال، وإن لم يكن كان ذلك عبارة عن صيرورته شيئاً عندما يصير بهذا الوصف، نحو ما إذا قلنا أن نار جهنم تحرق، ونعيم الجنة طيب، وهذا لا يقتضي كونه محرقة وطيباً للحال، بل إنما يقتضيه عندما يصير ناراً أو نعيماً، وكذلك هاهنا. وهذا طريق الجواب في أمثلة ما يوردونه من هذا الجنس.<sup>(٣)</sup>

الوجه الرابع: أن هذا معارض مما هو أقوى منه في الممسك، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ مريم: ٩، وأمثال هذه النصوص.<sup>(٤)</sup>

مكتبة الخانجي - القاهرة. وانظر: أصول الدين: أبي اليسر محمد البزدوي، تحقيق: د. هانز بيتر لنس، ضبطه وعلق عليه: د. أحمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية للتراث، - القاهرة، ٢٠٠٣ م

(١) شرح الفقه الأكبر: أبو حنيفة النعمان ص ٤٣.

(٢) مجموع الفتاوى: ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، (١٥٦/٢)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م (د. ط.).

(٣) مرجع سابق، الكامل في الاستقصاء، ٢١٦

(٤) المرجع نفسه، ٢١٦.



ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ الكهف: ٢٣.

قالوا: الشيء الذي سيفعله الفاعل غداً سماه الله تعالى في الحال بأنه شيء، ومعلوم أن الشيء الذي سيفعله الفاعل غداً فهو معدوم في الحال، فوجب تسمية المعدوم بأنه شيء<sup>(١)</sup>.  
والجواب أن هذا الاستدلال لا يفيد إلا أن المعدوم مسمى بكونه شيئاً، وعندنا أن السبب فيه أن الذي سيصير شيئاً يجوز تسميته بكونه شيئاً في الحال كما أنه قال: أتى أمر الله [النحل: ١] والمراد سيأتي أمر الله<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة: ٢٠.

وهذه الآية مما استدل به المعتزلة على أن المعدوم شيء، قالوا: لأنه تعالى أثبت القدرة على الشيء، والموجود لا قدرة عليه لاستحالة إيجاد الموجود، فالذي عليه القدرة معدوم وهو شيء فالمعدوم شيء. والجواب: لو صح هذا الكلام لزم أن ما لا يقدر الله عليه لا يكون شيئاً، فالموجود لَمَّا لم يقدر الله عليه وجب أن لا يكون شيئاً<sup>(٣)</sup>، وهذا باطل.

هذه أبرز الأدلة السمعية التي استدل بها المعتزلة ومن وافقهم على القول بشيئية المعدوم، ورأينا كيف أبطل علمائنا هذا القول من خلال الردود التي أجابوا بها على أدلة المعتزلة مثبتين بذلك أن العدم ليس بشيء، وبناءً عليه بطل القول بخلق زلزلة الساعة.

وهنا تنتقل المسألة في الخلاف للعودة إلى المعدوم، حيث هي الأصل التي انطلق منها القول في الجنة والنار أنهما غير مخلوقتين، وهذا الذي أوصلنا إلى مسألة خلق زلزلة الساعة، فلكل شيء مقدمات توصلنا إلى نتائجه.

(١) انظر: مرجع سابق، مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)،

(٢١/٤٥١)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣ - ١٤٢٠ هـ.

(٢) المرجع نفسه (٢١/٤٥١)

(٣) مفاتيح الغيب (٢/٣١٨)، اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى:

٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، (١/٤٠٣)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان،

ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.



## الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد؛

فبعد النظر في كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله، وكتب أهل العلم، انتهينا بعون الله وتوفيقه من إتمام هذا البحث، وقد بُذِل فيه جهداً وطاقةً، وكانت الاستفادة منه جمّة، وتم التوصل به إلى النتائج الآتية:

(١) ظهرت مسألة خلق زلزلة الساعة كغيرها من المسائل العقديّة نتيجة المحاورات والمناظرات التي جرت بين الفرق، بمباشرة المناظرة أو في الكتب.

(٢) مسألة خلق زلزلة الساعة هي واحدة من موضوعات السمعيات.

(٣) إزالة اللبس في خلق زلزلة الساعة، وأنّ المعدوم لا يعدُّ شيئاً إلا حال وجوده، وانتقاله من العدم إلى الوجود، بدليل السمع المأخوذ من كتاب الله تعالى.

(٤) تقرير القول بخلق زلزلة الساعة عند الفرق من مصادرهم المعتمدة، حيث ذهب كل فريق يستدل بالنص من كتاب الله تعالى في إثبات صحة ما يذهب إليه.

(٥) ظهر أن الخلاف القائم في الاستدلال لصحة قول كل فريق، هو اختلاف في فهم النص العقدي، حيث أنّ الاختلاف اعتمد على اللفظ لا المعنى، ومسألة خلق الزلزلة ووقت حدوثها، مبني على ما يسبقها وما يليها في كتاب الله.

(٦) الأشاعرة والماتريدية لا يقولون بخلق زلزلة الساعة إلا وقت حدوثها، أما المعتزلة فيقولون بخلقها الآن مُعتدين بذلك على مفهوم المعدوم بأنه شيء قبل وجوده.

(٧) وقت خلق الزلزلة هو الدنيا لا الآخرة عند من قال بخلقها حال حدوثها، وفي الآخرة عند من قال بأنها مخلوقة الآن.

(٨) مسألة الجنة والنار وأنها مخلوقتان الآن مع الاستدلال عليها.

## التوصيات :

(١) الدعوة إلى التصديق بكل ما جاء به الحق سبحانه في كتابه العزيز، أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، والسمعيات لا طريق للوصول إليها إلا بالخبر الصادق.





- (٢) مسألة السّاعة وحدثها ونبوءات آخر الزمان مسألة تشغل الأذهان، وللوقوف على حقيقتها يتأتى بالتسليم بمّ جاء به الوحي، والإيمان بما جاء به الدين الحنيف.
- (٣) الدعوة إلى الاستعداد لها، بقوله للسائل ماذا أعددت لها؟- صلى الله عليه وسلم- فالتركيز على الإعداد والاستعداد لاستقبالها حال حدوثها.
- (٤) العلامات التي تسبقها كثيرة وهي تأتي مطابقة لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وهي دليل صدق رسالته المعجزة الخالدة.
- (٥) العلامات التي تسبق السّاعة غايتها تنبيه الغافل وتذكير المؤمن ودعوة غير المسلم للإذعان والإيمان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..



## المصادر والمراجع: References

١. الإشاعة لأشراط الساعة: السيد الشريف محمد بن رسول البرزنجي (ت ١٠١٣هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان.
٢. أصول الدين: أبي اليُسْر محمد البزدوي، تحقيق: د. هانز بيتر لنس، ضبطه وعلق عليه: د. أحمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية للتراث، - القاهرة، ٢٠٠٣ م
٣. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.
٤. المجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، جمع: أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي، مكتبة ابن عباس، مصر، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٥. حجج القرآن: المؤلف: أبو العباس بدر الدين الرازي الحنفي: أحمد بن محمد بن أحمد المظفر ابن المختار، (المتوفى: بعد ٦٣٠هـ)، المحقق: أحمد عمر المحمصاني الأزهرى، دار الرائد العربي - لبنان - ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م
٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
٧. العقيدة الإسلامية ومذاهبها: قحطان عبد الرحمن الدوري، ط٢، كتاب ناشرون، لبنان، ٢٠١٢.
٨. الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي - القاهرة.
٩. القيامة الكبرى: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط٦، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
١٠. الكامل في الاستقصاء فيما بلغنا من كلام القدماء، تقي الدين النجراني: مختار بن محمود العجالي المعتزلي (تحقيق: الدكتور السيد محمد الشاهد، مطبوعات وزارة الاوقاف المصرية المجلس



- الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث - القاهرة، ١٩٩١م (د.ط)
١١. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.
١٢. اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، (٤٠٣/١) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٣. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
١٤. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، ط١٤٠٢، ٢هـ - ١٩٨٢م.
١٥. مجموع الفتاوى: ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م (د.ط).
١٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١٤٢٢، ١هـ.
١٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١٤٢٢، ١هـ.
١٨. مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
١٩. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.
٢٠. مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣ - ١٤٢٠هـ.



٢١. نهاية الإقدام في علم الكلام، الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ا  
(المتوفى: ٥٤٨هـ) تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١/١٤٢٥ هـ.